

SESSION DE 2004

**concours externe
de recrutement de professeurs agrégés**

section : arabe

commentaire en langue française

Durée : 6 heures

*L'usage de dictionnaires arabes unilingues est autorisé
Tout autre document et tout matériel électronique sont interdits*

Commentez le texte suivant, extrait de :*Al-ḥarakāt al-istiqlāliyya fī al-Mağrib al-'arabī.*

De 'Allāl al-Fāsī.

Mu'assasa 'Allāl al-Fāsī, Casablanca, 5^e édition, 1993.**Tournez la page S.V.P.**

الحركة السلفية

يظهر أن سرا كش مهياة أكثر من كل بلد إسلامي لقبول الحركات التي تطالب بالعودة للدين الصحيح والعقيدة السنية ، ويبدو أن بساطة هذه الدعوة ووضوح طابعها يتفق إلى حد بعيد مع سداجة الصوفية المغربية وحب الطبيعة القومية للتأكد من دقائق الأشياء ، ولذلك لم تقم الثورة الوهابية حتى كان لها صدى استحسان وقبول في القصر الملكي حيث رحب بمبادئها السلطان مولاي سليمان ، ثم كان للشيخ عبد الله السنوسي حظ حماية مولاي الحسن الذي مكّنه من نشر المبادئ السلفية والدعوة إليها ، وكان لمحمد عبده اتصال بعد ذلك بمنخبة من المتقنين بالمغرب العربي كله ، ونحن نعلم أنه وقعت بينه وبين علمائنا مناقشة في مسألة التوسل بالأنبياء ، وأيده الشيخ المهدي الوزاني في قضية التمتوى الترنسفالية ، كما جرت بينه وبين الشيخ ادريس بن عبد الهادي مراسلة في شأن بعض الكتب السلفية التي كان عبده يريد نشرها .

5

10

ولكن هذا كله لم يكن له من الأثر ما أحدثه رجوع المصلح الكبير /الشيخ أبي شعيب الدكالي ، فقد عاد وكنه رغبة في الدعوة لهذه العقيدة والعمل على نشرها ، والتف من حوله جماعة من الشباب النابغ يوزعون الكتب التي يطبعها السلفيون بمصر ، ويطوفون معه تقطع الأشجار المتبرك بها والأحجار المعتقد فيها . وكان لمولاي عبد الحفيظ فضل كبير في إظهار هذه المبادئ وتأييدها خصوصاً بعد أن أخذ بعض أديعاء المشيخة يمدون أيديهم للأجنبي ، وقد أصدر جلالته رسالة في الرد على التيجانيين ، كما أمر بإقفال زاوية الكتانيين بعد أن اكتشف مؤامرة رئيسها على الدولة وعلى البلاد .

15

غير أن هذا نفسه لم يكن إلا مقدمة أولى للحركة السلفية التي دعا إليها

20

وبنها وخرّج رجالها أستاذنا العلامة المصلح السيد محمد بن العربي العلوي حفظه الله
فقد كان لهذا الرجل من الجرأة والإقدام والثبات ما جعله يلاقى في دعوته نجاحاً
كبيراً وإقبالا عظيماً .

وقد دخل الريف في حرب فرنسا ، ونحن من حول أستاذنا نعمل لهذه
العقيدة ، ونجاهد في نشرها ، وما ظهرت خيانة بعض مشايخ الطرق في هذه
الحرب حتى زاد ذلك فينا حماسة وقوة ، وكانت تجتمع بفاس ثلة من الشباب
حول ابن العربي ، وفي الرباط مثلها حول الشيخ أبي شعيب ، وتظهر آثار
الثنتين في المحاضرات التي يلقيونها ، والزيارات التي يتبادلونها ، والمقالات التي
ينشرونها في صحف الجزائر وتونس ؛ لأن المغرب الأقصى لم يكن حظى إذ ذاك
بمجريدة ليس للحماية عليها سلطان ، ولم تمض برهة على هذه الحركة حتى أخذت
الحماية تتخوف منها ، وتحس بأنها موجهة لمقاومة نفوذ أحبابها الطرقيين ، فبدأت
تستدعيننا للاستنطاق ، وتهددنا بالاعتقال ، وفعلاً أقلت في النهاية القبض على
صديقنا الأستاذ محمد غازي الذي كان من أكبر دعاة السلفية ورجالها .

وليس من الممكن لمؤرخ الحركة الاستقلالية بالمغرب أن يتجاهل هذه
المرحلة العظيمة ذات الأثر الفعال في تطوير العقيدة الشعبية ببلادنا . ومن الحق
أن نؤكد بأن امتزاج الدعوة السلفية بالدعوة الوطنية كان ذا فائدة مزدوجة في
المغرب الأقصى على السلفية وعلى الوطنية معاً ، ومن الحق أن نؤكد أن
الأسلوب الذي اتبع في المغرب أدى إلى نجاح السلفية لدرجة لم تحصل عليها
حتى في بلاد محمد عبده وجمال الدين .

ولقد كان في وقت ازدهار هذه الحركة يزور المغرب صديقنا مسيو ديرمانجيم
مؤلف كتاب (حياة محمد) باللغة الفرنسية ، فكتب بحثاً عن السلفية وغاياتها
واتجاهاتها ، وأظهر في كتاباته عطفاً علينا وتمنياً لنجاح حركتنا . كان هذا سنة
١٩٢٥ ، وقد رأيته بعد ذلك في منزله بباريس سنة ١٩٣٣ بعد ما صدر أمر
ملكى بمنع مظاهرات بعض الطرقيين ، وبعد ما أظهر الشعب اغتباطه بهذا

الأمر الملكي وزين الشوارع والأسواق احتفاءً بالقضاء على عهد خرافي طالما منع العقل المغربي من التطور والنفوذ لعمق الأشياء — فأخذ يحدثنى في الموضوع ويظهر أسفه على النهاية التي آلت إليها (الطرق) بالمغرب الأقصى ، فاستغربت منه ذلك ، وسألته : ألم تكن كتبت عنا مبدياً إعجابك بحركتنا السلفية ؟ ! فأجابني وهو يبتسم : لم أكن أظن أنكم ستنجحون إلى هذا الحد وبمثل هذه السرعة ! نعم لقد نجحنا إلى هذا الحد ، وتجاوزناه بعد أن احتضن الفكرة السلفية ورعاها ولي نعم سيدي محمد بن يوسف الذي لا يالو جهداً في مقاومة المشعوذين والقضاء على الخرافيين .

5

ولم تكن هذه الحركة قاصرة على الدعوة ضداً على الخرافات ، بل تجاوزتها لث الشعب على العلم والدعوة إلى إصلاح شامل ومقاومة الجود في كل فروع الحياة .

10

والذي ينظر في تاريخ الحركات العامة في الدنيا كلها يجد أنه لم تقم ثورة مفيدة في بلد ما إلا سبقتها دعوة للرجوع للماضى البعيد ؛ ذلك أن هذا الرجوع الذي يظهر في شكل تقهقر إلى الوراء هو نفسه تحرر كبير من أشياء كثيرة وضعتها الأجيال العديدة والعصور المختلفة ، والتحرر منها هو تخفف يسهل السير إلى الأمام بخطى واسعة ، وإزالتها من الطريق يفتح أفقاً عالياً يهدى السائرين للغاية الصحيحة التي يجب أن يوجهوا أنفسهم إليها .

15

ولقد كتبت إدارة الشؤون الأهلية في سراكش سنة ١٩٣٩ تقريراً لمجلس البحر الأبيض المتوسط الذي أسسه مسيو بلوم في فرنسا تؤكد فيه العبقرية التي ظهر بها الحزب الوطني المغربي في جمعه بين أحدث الأفكار الثورية وما سمته بالسلفية الجديدة التي ظهرت بعد الحرب في العالم العربي ، وهي ملاحظة صحيحة ومفيدة ، ولذلك لا محيد لنا عن إلقاء نظرة على البرنامج السياسي الذي خرجت به السلفية بعد الحرب الكبرى لما كان له من الأثر في تسيير آلاله التوجيهية للحركة الوطنية بالمغرب الأقصى .

20

الاتجاه السياسي للسلفية الجبرية :

لئن كانت السلفية في باعها الحنبلي ترمي لتطهير الدين من الخرافات التي أصقت به والعودة إلى روح السنة المطهرة فإنها لا تقصد من وراء ذلك إلا تربية الشخصية الإسلامية على المبادئ التي جاء بها الإسلام بصفته المتكفل بصلاح الأمة في دينها ودنياها . وإعدادها لتكون لها الخلافة في هذه الأرض التي حكم الله ألا يرثها من عباده إلا الصالحون ، وبذلك فهي حركة تتناول نواحي الجهود الفردية لصالح المجتمع ، وتتطلب فتح الذهن البشري لقبول ما يلقي إليه من جديد ، وقياسه بمقياس المصلحة العامة لإرجاع المجد العظيم الذي كان للسلف الصالح في حظيرة الإيمان وحظيرة العمل ، ولكن هذا الإعداد الفردي لا يقصد منه إلا تقوية التضامن بين الجماعة الإسلامية على أساس الإخاء الإسلامي أولاً والإنساني ثانياً ، وذلك ما يستوجب كثيراً من التسامح مع المخالفين في الوقت الذي يدعو للوقوف صفاً واحداً في الدفاع عن الإسلام وعن الأمم الإسلامية كلها والدفاع عن الإسلام وأممه يستدعى بالطبع قبول المبادئ التي تعطي للفرد حرية العقيدة وحرية الفكر ، وتعطي للأمم الحق في تقرير مصيرها ، واختيار النظم التي تريدها ، وحرية العقيدة يستوجب حرية التألب من أجلها والتجمع للفضال عنها بالوسائل المشروعة السلمية ، وتقرير المصير واختيار النظم يستوجب حرية الجماعة في التعبير عن رأيها وإبداء ما تريده من أشكال الحياة ، وكلا الأمرين لا يتم إلا بطريق التنظيم الذي جاء به العصر من جمعيات وأحزاب ونقابات .

ولكن هذه الحرية يجب أن تتفق مع غايات الأخي بين الأمم الإسلامية ضمن وحدة سياسية ، وذلك ما وقفت عنده السلفية زمنياً تقارح بين تنظيم الخلافة على أساس حديث أو تكوين جامعة أم شرقية ، وأخيراً اقتنعت بضرورة القومية المبنية لا على الروح العنصرية أو الدينية ، ولكن على أساس

الروابط الإقليمية مجنّدة لتبرير ذلك ما عرف في الإسلام من تسامح وما تدعو إليه وحدة الدفاع عن جانب من جوانب الجبهة الإسلامية دون التعرض لما يرمى به الأجنب المسلمين من تعصب وضيق في الأفق ومستندة لما فهمه المسلمون من ضرورة حب العائلة والعمل لصالحها دون أن يكون في ذلك ما يتنافى مع الأخوة العامة بين أبناء الإسلام .

5

ولكن هذه القومية لا ينبغي أن تضيق إلى حد أن تحول بين التقارب المطلق بين سائر الشعوب المسلمة والعربية بصفة خاصة ، وإلا أصبحت عنصرية تنافي مع الأصل الأصيل للدين الإسلامي .

ولتسهيل هذا التقارب يجب أن تتوافق أساليب الثقافة في وسط المسلمين ، وأن يعمل على جعل اللغة العربية صالحة لأن تكون لسان العالم الإسلامي كله ، وصلة الوصل بين سائر أفرادها ، وبما أن الدعوة لهذا وتيسيره تتطلب نشرات وصحفاً ونجولات خطابية يقوم بها الدعاة المرشدون لتقريب العقليّة الإسلامية والتوحيد بين عناصرها - فقد هيأت كل الوسائل التي يتوقف عليها الإرشاد والتوجيه .

10

وهي ترى من الواجب ألا يبتعد المسلمون عن القانون المستمد من الشريعة ، وللوصول لذلك يجب العمل على أن يصبح منظوراً للفقّه الإسلامي أصولاً وفروعاً كمادة لتشريع مدني عام ، لأنه هو نفس الشريعة التي لا يمكن أن يقوم عليها اجتهاد ولا تطوير ..

15

وكل هذه الأشياء لا يمكن أن تتحقق في الحكومة المسلمة إلا إذا خضع هذا الاجتهاد الجديد في التشريع لنواب أكفاء ضمن مجلس تختاره الأمة ، ويصبحون فيها مكان أهل الحل والعقد الأوّلين ، ومعنى هذا أنه لا بد من اتباع النظام الدستوري المبني على حكم الشعب بواسطة من يختارهم من نوابه الأكفاء غير أن الوصول لهذه الوسيلة لا يتحقق إلا إذا تحررت البلدان الإسلامية من سيطرة الأجنبي المادية والمعنوية ، ولذلك فالعمل على الاستقلال شرط

20

أساسي لاكتساب الحرية التي لا بد منها لتحمل المسؤولية .
 وفوق كل هذا فالسلفية الجديدة ترفض بالطبع فكرة (لادينية الدولة) ،
 وبذلك تجعل الحكومة الإسلامية حارساً على الأخلاق والفضيلة في وسط
 الأمة ، وتطالبها بتهمة سائر الوسائل التي تسهل على الفرد القيام بالواجبات
 الفردية والاجتماعية ، وتحمله عن طريق الاقتداء والمتابعة على السلوك الحسن في
 علاقته مع عائلته ومع إخوانه ومع الأجانب عنه .

5

تلك هي الاتجاهات السياسية التي شغلت السلفيين فيما بعد الحرب الكبرى ،
 وقد رأينا كيف أنها أخذت قسماً كبيراً من كفاحنا الناشئ ، ملونة بألوان
 مختلفة وظروف خاصة ، ولكنها لم تنفك في سائر مراحل جهادنا ، سواء في
 الحزب الوطني أو في حزب الاستقلال محط عنايتنا وموضع اهتمامنا .

10

ومهما يكن مقدار التطور الذي حصل في نظرنا المدنية للأشياء ، ومهما
 يكن مقدار النجاح الذي سنحصل عليه في تطبيق برامجنا بعد الاستقلال ، فالذي
 لا شك فيه هو أن السلفية عملت عملها في تسيير آلتنا النفسية وتوجيه تفكيرنا
 نحو هذا التجدد المنشود في جميع مظاهر حياتنا ، ونحو هذا التحرر الذي ظل
 طابع حركتنا ، وصوب هذه الوحدة العربية التي لم تزل مطمح آمالنا ، ونحو
 الروح الديموقراطية التي تسيطر علينا .

15